فيه الرجال وامالت اليه الآمال وآية حسنة وضع الله عليها طابع

الدين فهي في جوار النجم علو مكان وسمو شان وكفاك بها اقامة ما ورد في الخبر

المروي ان الله تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك

فاستخدميه واتفق عقيب ذلك ان طلع رجل من ديار العراق

ينتسب الى الشجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر الى السلطان

يمين الدولة بكتاب حمله وبُرد وده فورد نيسابور مُدلّاً بسبب النسب

ومُدلّياً بصلف الشرف فاستوقف الى ان انهى الى السلطان خبره

ووكل الى ما يرد من مثاله صدره ونهض من بعد ذلك الى هراة ممتدا

الى الحضرة فاحضره الى نيسابور ليقرأ ما حمله على رؤوس الاشهاد

وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لخاص مجلسه عما عسى

ان يضاف اليه من احالة وسرحت رسالة فلما ردّ القهقرى

وفتش عما صحبه عشر على تصانيف الباطنية واغاليط فى الشريعة

الحنفية اصح منها فى الاسماع خباط الخابنين ووسواس المبرسمين

لا توخذ فى محصول ولا توجد فى معقول ومنقول وناظره الاستاذ

ابو بكر على امور من جهته مرسلة تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد على ذلك

الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز الثقات وما زال

يضرب اسداسا فى اخماس الى ان تبين له انه اخطا فى حمل تلك

الرسالة وحرم التوفيق فى تقلد تلك السفارة وقضى الله ان اشخص

الى حضرة السلطان فلما وردها استحضر مجلس حفله وقد غص

باعيان الاسلام ساداتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها وغزاتها

وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوى ومن قصته ان جده

مسلما المكين فى الطالبية من اولاد الحسين الاصغر رضى الله عنهم

عنهم وعن ابائهم الطاهرين بناحية مصر واحبه وانبة منه ولا
اغنى واقنى عنه فلما استقر بعد ابو تميم المعز بمصر خطب اليه
بعض بناته على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز بالله وسبب ذلك
على ما قيل انه وجد فى داره رقعة فيها شعر ان كنت من ال النبي طالبا
فاخطب الى بعض بني طاهر فان ذاك القوم كفوا لهم فى باطن الامر
وفى الظاهر قاموا من سقة حقوقه بعض منها النظر الاخر فنسبهم
الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر لانها من كور خوزستان وهي ام
محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة من
بناته الا وهي فى حبالة وتحت عقدة تفاديا من اجابته وتحرجا
من مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه وترفعا
بنسبة دونه وضع عليه يد الاستصفاء بعد ان اودعه الحبس

سنين وحبطه خبط العصا ودق السلم وابعد عن فضفاض الغنى

علالة العدم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيب من مجلسه

فلا يدري كيف صار امره وابن خعل قبره وزعم اخرون انه هرب

من الحبس على طريق الحجاز فاحتضر على الطريق وعند ذلك لجا طاهر

والد الحسن المذكور الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستولى عليها

متامرا على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابي على بن طاهر وهو ختنه

على اخته فاستولى عليها متامرا على اهلها ومعه ابن عم له يعرف

بابي على بن طاهر وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث

ابو على مكانه من الامارة الى ان الحق به وورثه ولداه هاني ومهني

دون الحسين لاستضعافهما اياه وتقويهما بالحال والمال عليه فرحل

هو نحو خراسان ملتجيا الى السلطان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

وثلثمائة ولما ورد الناهرتي نزعمه رسولا صغر الشريف الحسن شانه

ووضع فيه لسانه وابى ان يكون له نبات على دوحة الرسالة وانتسابا

الى سنخ النبوة وادعى عليه انتساب الكذب وحمل الزور والتقول وعزاه

الى فساد الدين واستحقاقه ضرب الوتين فخلى السلطان بينه وبين

ما يستخبره لنفسه ودينه فيه فقام الى جيده لضربه عرفته في دم

وريده وقد كان القادر بالله امير المؤمنين قد كتب الى السلطان بما

ترامى اليه من خبر الرسول وما تقتضيه الدين من التصلب عليه

وترك الحفل له وتقديم الجد لانتصاف الاسلام والمسلمين منه فلما ختم

امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال وكعم السيف

افواه العذال فقوبل من المقبول بمقتضاه وجرى الخبر على ما اتاه

فكان مثل الناهرتي كما قيل شعر ومن يشرب السم الزعاف فانه خليق

ماسات المنايا النواهس ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون

خوارزمشاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان مملكته

قد كان ابو الحسن علي بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته وقد كان

استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان احدى اخواته

تقوية لعمدة الحال وتشديدًا للحمة الوصال فاوجب اسعافه بما استدعاه

استكفاءً اياه وتوخيًا لرضاه وزف اليه من خطبه ووصل اسباب

سببه ودر التهادي بينهما حتى صارت الدار واحدة والاسرار

لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال على جليتها في الانتساج والامتزاج

الى ان قضى خوارزمشاه نحبه ولحق بالقراض الاحابة وورث الامير

ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى

السلطان يساله ان يعقد له على عقيلته عقده على اخيه من قبل فهو

فهو تاليه فى الطاعة بل اتم اخلاصا وثانية فى القربة بل اشد اختصاصا
فتشفع السلطان فيه داعي الكفاه واستجد للحال دونق الطراة وعقد له
عليها عقد الخلط فيه بنفسه وفرع له فرقا من قلبه وخلبه وما زال
الامر على جملة الاشتراك والاشتباك الى ان دعا السلطان دواعي
الاختيار الى سومة اقامة الخطبة باسمه فانهض رسولا بتجريد
العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه حرصا على الاجابة
وافتراضا لحق الطاعة غير ان عرض الحال فيه على من حوله من
اعيان اشياعه واتباعه فاظهروا نفادا واصروا واستكبروا استكبارا
وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما يسلم لك الملك عن الاشتراك
فاما اذا وضعت حدك للطاعة ووضعنا السيوف على العواتق
خلعناك وتمكنا عليك وجها دافيك فعاد الرسول الى السلطان

بما رآه عيانا وسمعه بغيا وعدوانا واحسن القول لحمرة الدم من وراء

جرئتهم على ولي نعمتهم بالقول القطيع والرد الشنيع وزعمهم في الامر يؤسند

بنا لمكين البخاري صاحب جيشه فاوحسوا خيفة وتوامروا على الفتك به

عيلة وسا ذا الوافي التدبير عليه الى ان دخلوا ذات يوم على رسم السلام

فاذا هو صريع كاس الحمام لا يدري كيف قتل ومن اي وجه وصل

فبادروا الى العقد لاحد ولده وبسطوا ايدي الاصفاق على سعيته

وعلموا ان السلطان يمتعض للحادثة ويقصد قصد الانتصاف

للورثة فتخالفوا على مقاد عته ان غزاهم في عقر دارهم وجراهم

عن سخوط انادهم ولما انتهى الى السلطان خبر صنعتهم بولي نعمتهم

وهو قيم سقيفته وحامي حقيقته اذ عجته قوة الحفاظ للانتقام من

اولئك العدرة الفجرة والمرقة الفسقة فحاش لمناهضتهم على حمية

على حمية مسجورة وحفيظة على ذات الله تعالى مقصورة وكانت

سعادة ايامه قد لقنت اولئك العتاة البغاة ما اوهم استحقاقا للنقمة

وبراءة من العصمة وتمهيد المعذرة قربا وبعدا في استخلاص مملكة

كانت الى عزالته نازعة ولباب الاقبال برفق سياسة قارعة وحمى

الجحافل كالجبال ناهضة والبحار فايضة سايرة والبحور زاخرة حتى اناخ

بعقوتهم مستعينا بالله على قتالهم واستنزالهم الى مناهل اجالهم

وشاء ودنا لتمكين عامة قواده في ركضة على طلايع السلطان بياتا بعضهم

بانياب الحديد ان لم يسلمهم للتشريد والتبديد وطاردت خوافي الليل

حتى انقض على ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي وهو طليعة

السلطان في كماة العرب حين انقض الكرى رؤسهم وشغل برد الصباح

نفوسهم واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل وطعنا

بالرماح الذوابل وطار الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه

الى معترك الحرب وثبت الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى ان

حمي وطيس النهار جاهدين في القراع مجاهدين دون المساكن والرباع

يظنون ان يظفروا وقد غدروا وامن رؤياهم في جحود الانعام وارداهم

من ندى الاكرام وهيهات ان الغدر قلادة منطوية احد طرفيها

عاجل العار وثانيهما آجل النار ولم تشرف الشمس على التكبيد حتى

اضطجعت الخيول والفيول رجالا حكوا جمالا قد قصفت اصلابهم

وانتهبت اسلابهم وفلقت بالسيوف هاماتهم وبضعت بها اجسامهم

وانهزم الباقون في خمر الغياض والآجام على شاطئ جيحون والصوارم

من ورائهم تحطب ارواحهم حتى اذا اوقعتهم خلفها الطلاق صدقا

واستاسر منها خمسة آلاف فحقن الله دماءهم عبرة للنظار وعظة

وعطفة لا منا لهم من العثرة النجاد فركب البجادى ظهر الماء مؤملا فى الهرب

ومقدّرا خلاصه من العطب فلم يلبث ان فعله السوء بجريره واقدامه

على ولى نعمته برديه وان جاقر البحر لاحيه ساقط لا محالة فيه وجرت

بينه وبين بعض اضرابه مساقرة حملته على الاستيناف منه وبعث

الملاح على استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم يلبث الا يسيرا حتى

حصل فى يد السلطان اسيرا واحضره السلطان وفى مجلسه فى

سائر القوّاد الماسورين ليسالهم واياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير

داعية واجترائهم عليه من غير وطائة عاتبة فردجواب المستبسل

المستقتل واما الباقون فسقط فى ايديهم لا يدرون ماذا يردّون وامر

السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابى العباس

مامون بن مامون خوارزمشاه وصلبهم اجمعين عليها عبرة ممن

الهمهم بالدين وعدهم بعد الناكبين عن قصد السبيل وامر بالكتابة

على جدران تلك المقبرة بان هذا قبر فلان بن فلان بغى عليه حشمه

واجتزى على دمه خدمه فقبض الله له السلطان حتى انتقم منهم وصلبهم

على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين وامر من بعد بالاسرى فوضعت

الاغلال في اعناقهم تقادون الى غزنة دار الملك موجا بعد فوج حتى

اذا حصلوا بها وقد امتلات منهم العيون وغصت بهم المجالس والسجون

من عليهم بالافراج وفرض لهم في ساير الحشم والاجناد ووضعهم موضع

امثالهم من ديار الهند ديارا لحمون اقطارها وينفضون عن عيون العيث

مناكبها واطرافها وولي خوارزم حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فاقام

بها قامعا لجوم الفساد وفاقيا عيون الغي والعناد الى ان نضب ماء هم

وادعن للطاعة اقاهم واستقرت تلك الاسباب ودرت تلك

تلك الاحزاب وذلك تقدير العزيز العليم فتح مهرة وقنوج وقشمير

ولما فرغ السلطان يمين الدولة من مهم خوارزم قد انضافت كاحدى

اخواتها الى ساير ممالكه الموشحة بآثار ولايته الموشعة باصباغ عدله ودعا همته

داعي ان تختم صحيفة العام بطابع الاستتمام اجماماً للركايب والركاب وتقليباً

لراى الغزو بين جوانح القلب فعدل الى بست كالشمس وقد جنحت

للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا بها حواشي المطارف وعواشر

المصاحف او عقود المخانق او نهود المعصرات العواتق يدبر اعمالها ويروى

فيما صار اليه حتى لها الى اذن الله له من معاودة غزنة منتشياً سحاب العكر

في غزوة تحقق اعجاز القرآن بما تضمنه وعد الله المنان في اظهار دينه

المرسوم لسيد البشر ومولى البدو والحضر محمد تاج الانام وسراج الظلام

صلى الله عليه وآله البررة الكرام على الدين كله وان سخطت نفوس

وضرعت خدود وزعمت معاطس وانوف بعد ان كانت الشفقة قد

نعدت عليه وعلى اعوان دين الله الساوين تحت رايته منوكا لالف

هدايته اذ كانت الهند قد تحيفت من شواهايد اطرافها سبيا و[illegible]ا

وملكت اربابها سهوبا وشعابا فلم تبق الا ما اجنته صمير قشمير ومزدويها

فيا[ف] تصم عن كل عزنف وصفر وتضل سبها وفود الرياح الا التخمير

واتفق ان حشر اليه من ادنى دياره ما وراء النهر الى اقصى ديار حدودها

ذهاء عشرين الفا من مطوعة الغزاة قد وصفوا سبوقهم على عواتقهم

محتسبين للجهاد ومنتدبين في ذات الله للاستشهاد ويحيطون

الحيان بصداق الارواح ويستامون الغفران بجد ود الصفاح

فتحرك من السلطان نفيرهم ودمر نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى

رايه ان يزحف بهم الى قنوج وهي التي اعيت الملوك الماضين فتحها

فتحها غير كشتاسب على ما نطق به تواريخ المجوس وهو كبش افرانه

والخوالف السود فاستنجا ردته وسار وهجر النوم والقرار واستصحب من

شهد من انصار دين الله واعوان حق الله رجالا يفتحون استباق

المنايا شوقا الى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود بالحسنى والزيادة

وعبر صياو سيحون وجيلم وحبند راه ونتت وسندر سالما

في سالين وهذه اودية تجل اعماقها عن الاوصاف وتمتنع اطرافها

على الاطواف عن الاطواف منها ما يغمر غوارب الفيول فكيف كواهل

الخيول وهذه هداة نقال الصخور فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا

من الله لمن والاه وعزّ بروحه في استدامة رضاه ولم يطا مملكة

من تلك الممالك الا اتاه الرسول واضيا حق الطاعة عارضا في الخدمة

كنه الاستطاعة الى ان اتاه جنكي بن سمهي صاحب درب قشمير

عالماً بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاسلام مقبولا او الحسام

مقلولا فاظهر العبودية عن حاضر التوفيق وضمن الارشاد باقي الطريق

وجعل يسير امامه هاديا وبجزع واديا فواديا وكلما انتصف الليل

آذن بالمسير خفق الطبول واستوى اولياء الله على ظهور الخيول حتى

تعب الركض والسلوك الى ان تجنح الشمس من غد للدلوك حتى استظهر

ماء جون لعشر بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما زال يفتح

الصياصي والقلاع مبنية على ربود الجبال وحروف القلال حتى

ثنا المتالع الاعناق متى شخصت اليها نواظر الاحداق الى ان ثنيافه

قلعة برنة من ولاية برود وهو احد الراي اعني الملوك بلغة الهنود

فاطلع على الارض الطلاعة وهي تموج بالبضا رحق الله مسبومة من

فوقها الترائك ومن حولها الملائك فتزلزلت قدمه واشفق من ان

من ان يستباح دمه فراى ان تتقي بالاسلام باس الله وقد شهرت

حدوده ونشرت بعذبات العذاب بنوده ونزل في نحو عشرة الاف

منادين بدعوة الاسلام منقادين عن ولايته الاصنام فحقق الله

معاده واحسن بفضله اسعاده نعم وامتد به الوجيف بعد

الى قلعة كالجند وهو من اعلام الشياطين واعيان اولئك المردة عين نذل

على الملوك لعزا فقعس وبرنوالى القروم بطرف اشوس قد قضى في الكفر معظم

عمره وعنى بهيبة الملك وبسطة الامر عن حيشم مضه وسمره

لم يقصده احد الا ارتد عنه مفلولا وعاد عقده عليه محلولا عزة

حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة افيال ووثاقة معاقل وحصون

وسلك عن مطامع الانام ومطامح الوهم والانداه مصون فلما راى

السلطان قد قصد قصده وجرد لجاهدته جهده دبت خيوله ونيوله

وراء غياض لو رميت بافراد الابر لا تنفتها الارض باوراق الشوك

والشجر واغرى السلطان به بعض طلايع جيوشه فبادروا اليهم تحرفون نملك

الآجام خرق الامشاط منابت الشعور بل الاسنان فى مخارز السيور وعنت صنت

للسلطان طريق من فوق القلعة المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر

والله اكبر والسيوف لا تبقى ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقبلين وتواصوا

بالمنايا مستبسلين والسيوف تاخذهم من فوق وقدام وتبضع

ما بين لحوم وعظام وحملاتهم بينهما تتصل اتصال الكعوب وضرباتهم

تتوالى توالى الغيث المصبوب غير ان الله سبحانه الحديد ذى الباس

الشديد هو الذى اذا اشاء قطع واذا اشاء نبا وامتنع كذلك السيوف

الهند تنبو اطباتها وتقطع احيانا مناط القلايد فان نالت من اولياء الله

فله جزا الاستشهاد وثواب المعاد وان نبت فلا عجاز القدرة

القدرة واظهار العبرة وليعلم ان الحكم له في كل مخذول ومعصوم ومحروس
ومقصوم وظل الجاذيل يتنافسون بينهم وقد عاينوا اسيوفهم بابيته وسيوف
اهل الحق عليهم ماضية وحملاتهم واهية وهملات اهل الدين اولى وثابتة
ما هولاء من جنس الانس ولا من زمرة البشر هيهات ان وقع الحديد
لينجز في الجبال ولا اخرله في هولاء الابطال حتى اذا مثل لهم شخص
الطغيان في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراءهم من زاخرة المياه
يظنون انها تقيهم باس الانتقام بلا انتقام وتحميهم كاس الحمام اولا يدرون
ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يردي بكثير ما يجري قليله لا جرم
ان صفايح الماء وانفقت صفاح الدهماء فاوسعوا قتلا واسارا واغرقوا
فادخلوا نارا ولعل عدد القتل والغرقى يزيد على خمسين الفا صبحوا
طعما للسنور والضبعان واقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلجند الى

قتالة فاتلك بهتا بعرسه ثم كر عليه فالتحق بها بنفسه واغنم الله السلطان

ماية وخمسة وثمانين راساً من الفيلة الضخام مضافة الى سايرما

اطرد عليه حكم الاغتنام من نعم الله الجسام وقسمه الراجحة بالاقسام

ولما وضعت تلك الحروب اوزارها وحلت له الغنايم اذ دارها

عطف عنانه الى شط البلد الواقع عليه اسم المعتمد وهي مهرة الهند

بطالع ابنيتها التي يزعم اهلها انها من صنيع الجان دون الانسان

ابداع اساس وسقوف واعجاز واوساط وحروف فراى ما يخالف

مجرى العادات وتفتقر دوابها الى الشهادات بل المشاهدات

بلدا مبنى السور من صم الصخور قد شرع بابان منها الى الماء المحيط

به موضوعة ابنيتها فوق شواخص التلال صيانة لها عن مضار

سيول الماء ومعاز عيون السماء عن جنبتيها الف قصر مشيدة

شبيهة بسائر الابنية فى الوثاقة مشتملة على بيوت اصنام قد شدت
مفاصل اعراقها بمسامير تساوي سطوح البناء وتوازي ما وراءها
من الحجر ودحت الحفاء وفى صدر البلد بيت اصنام تحكى اخواته
او احسن ويجرى مجرى اضرابه او اتقن لا يهتدى الكتّاب باقدام
الدواة ولا النقّاشون باطراف الخامات الى امثالها تحسينا وترويقا
ونقوشا تخطف الابصار بريقا وكان فيما كتب السلطان به انه لو اراد
مريد ان يبنى ما يعادل اشباه هذه الابنية يعجز عنها بانفاق مائة
الف الف دينار فى مدة مائتى سنة على ايدى عملة كملة ومهرة سحرة
جملة الاصنام خمسة من الذهب الاحمر مضروبة على قدر خمسة اذرع
فى الهواء منصوبة قد الحمت عينا واحد منها بياقوتتين لو سيم
مثلهما على السلطان لا تباعه بخمسين الف دينار استرخاصا ولم

ليستبين فيه دركا ولا اخلاصا وعلى آخر قطعة ياقوت ازرق زنا من
بريق الماء وبريق البهاء تتزن اربعمائة وخمسين مثقالا وخرج من وزن
قدمي احد الاصنام المذكور اربعة الاف واربعمائة مثقال فكانت
جملة الذهبيات الموجودة عن اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية
وتسعين الفا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على ما ينبي قطعة
لم يمكن وزنها الا بعد التفصيل والعرض على كفة المعايير وامر السلطان
بعد سائر بيوت الاصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت
شقوقها مواطئ الاقدام وسار من بعد قدما يؤم قنوج وقد اشتق
له الفال من تصحيفه فتوحا وعده صنعا من الله ممنوحا وخلف
وراءه معظم العسكر تطمعا لراجيبال ملكها في الثبات لحف الزحام
وتقبحها اليه قبل اللقاء صورة الانهزام اذ كان امراء الهند على

على غلب رقابها وقوة اسبابها واصحابها اطواع الراى قنوج اغترارا
بمكانه واعتزازا بفخامة شانه ولم يغبر على قلعة من قلاع تلك البقاع
الا وضعها بالارض وعرض اهلها على الاسلام او السيف وحاز
من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز انامل الحساب ووصل
ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راجيبال حين سمع باقدامه
فراق ما لا يرى الهزيمة عنه عارا ولا يعد الفضيحة به شنارا
وعبر الماء المسمى كنك الذى يسمى كنك وهو الذى يتواصف الهنود قدره
وشرفه ويرون من عين الخلد فى السماء مغرفة ان احرق ميت منهم
ذروه فيه بعظامه وظنوه طهرة لآثامه وذنوبه وربما اتاه الناسك من بعيد
فغرق فيه نفسه يرى ان ذلك ينجيه وهو فى العاجل يرديه وفى الآجل
يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج

فاذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قريب
من عشرة آلاف بيت للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة منذ مائتي
الف سنة الى ثلثماية الف سنة كذبا وزورا وقولا موزورا وعد
ولا عن سنن الهدى وكفورا وبحسب قدمتها اعيادتهم كانت لها
وحاجاتهم بالدعوات اليها وقد شرع عنها اكثر اهلها خيفة للايم واليتيم
وحول التكبير بالهتهم البكم الصم ممن بين ناج اعانه النجاء كذ
ذنا وابادة تواء ولم ينجه من سيوف الحق ارضه ولا سماءه
ففتحها كلها في يوم واحد ثم اباحها لاهل عسكره يتناهبونها وقما
واذلالا وركض منها الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم
حتى لقاح وعتاة مالهم عن العناد في تلك البلاد براح فنبوا للقراع
اشباه العفاريت مارجة والشياطين ماردة ومادجة حتى اذا

حتى اذا اعوزهم النبات واعجزهم النجات وعلموا ان ليست لهم

بالمسلمين طاقة وان دماءهم لاشك مهراقة تهاووا من غرفات الجدران

وشرفات البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا بالنفوس

والارواح واستسلاما لامر الله المتاح لاجرم ان السيوف انتهبت

الارض دماءهم واطعمت النسور اشلاءهم كذلك المنايا

اصغاء من خطب البهالم تزله ردءا ولم يجد من الكاحه بدا واخذ

على نفسه ذلك نحو قلعة آسى وصاحبها المعروف بجندال بورجد

انا باهنود وارباب الجنود ولم يزل ذا منعة بالملك وسعة

فى الملك تعرض له راى قنوج منازعا وسادة الحرب مكاوحا

ومقارعا فلم يرد على ان انقب اولياءه وكل على الجبنية رداءه

وقد احاط بهذه القلعة غياض متكاثفة كاعراف الجياد ومتداخلة

كاشعار الحداد لا تستنجب الا افاعى سيفها للرقاة ولا تستنير البدر

عندها للسراة قد احاطت بها خنادق قعيرات الحفاير فسيحات

الدواير احاطة الثور بالثريا فناله عنها الفراج ولا الهاد ونه العراج

فلما شعر المذكور بزحف السلطان اليه في كواكب دولته ومواكب حملته

فقد قلبه فرط الحذاء وحبس نبضه وكان ذنب الفاد وداء الموت

فاغراقاه فلم يملك الا ان يولّيه قفاه فامر السلطان بقلع قلعة من

اصولها وتغويرها على من بهم آنفا حلولها وقفى اثاره بعفا مديت

الضاده ويهنبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون

انهم الخاسرون وكان المخذول يرى عن اعوانه من كماة المقانب

وحماة الاشاهب ورماة الكتايب حتى راى عسكر السلطان

بين ثلاث المشاعب واثارهم بالقنا والقواضب والعشى المواطر

المواطر كالسحائب فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب النائر
الغالب وقوس الحلج غير قوس الناشب ولما فضل السلطان امر جند ال
واذاقه في مهربه الدّاء العضال عطف على جيبال رای احد اكابر الهند
في قلعة شروة وهو يظن بنفسه ان القايل بعينه بقوله شعر
عطست بانف شامخ وتناولت . يد الثريا قاعدا غير قايم قد ذهب
بها ان يعطى عبرة معادة او يالف عن التعرف عادة وكانت بني
غابر الايام بينه وبين بروجيبال مناوشات تجاحش عن حيوط
الرقاب فدامت استلحمت رجالا واصطلمت ابطالا فابطالا
ثم قام دست الحرب بينهما فاضطر الى التوادع والتكاف حقنا للدماء
وصونا للاطراف وخطب بروجيبال اليه ابنته بهيما لاستدامة
الالفة واماطة للفرقة واستدفاعا للفساد واستيفاء للسيوف

في الاغماد وسرح ابنه اليه على نجزة عقدة الوصلة وشرط الاتساج

في اللحمة والاشتراك في النسب والنعمة فلما حصل الختن في بلده

جعله قده وقيده وطالبه بما ذهب له على يد والده فعجز ابو جبال

عن قصد قطعه واقتناص مقتنصه واستخلاص ابنه من اسار

محنته غير ان المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت رايات

السلطان على تلك الحدود وشفر صنع الله له في المقصود وبعد المقصود

فاما ابو جبال فلحق بموحد بواحد المتعززين بحصانة المعاقل

وحزونة المداخل وخشونة الموافل خلاصاً بمهجته واعتياصاً

بزعمه على من هم باقتصاص اثره واما جيدرالي فانه استعد

للمدافعة واحتشد للممانعة اغتراراً بوثاقة قلعته ووثقت

بقلعته وادلالاً بمنعته ولوقف لخلعته فراسله بصال بان محمودا

محمود الليس في جنس كابر الهنود وامراء رجالهم السود ان السلامة

من مثله نغنم والجيش باسمه واسم ابيه يسينهزم وقد رايتا من كان

اقوى منك حكمة واعلى كلمة لم يقم لضربة من ضربات حدوده ولم

لنهضة من هضبات جنوده فان اردت الافتضاح فستانك والاحراز

فعوض ما استطعت مكانك فعلم ان الرجل قد نصحه وانه خالف

الحق فضحه فسرب اثقاله وافياله وخزائنه وامواله نحو جبال تناعي

كواكب الجوزاء وآجام توارى خط الارض عن عين السماء وودسيه

نوجه مقصده فلم يدر ابن سار ومن اتى الا قطار طار امنطى الليل

ام افتعد النهار وكان عرض النصح المطلوم في تهريبه وتغريبه استفادته

من حباله الاقتناص فسلم من كلمة الاسلام ما سيم اعمامه واقاربه

قبل حين اضطروا الى الاستيمان والاستسلام فلما احاط السلطان

تملك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعدها

وتوسع منها في علف كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير فلم يهنه الموجود

وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه وانتزاعه

من يد مهربه فاقتص اثره وركض الخيل خمسة عشر فرسخا بين سباسب

اشجار تصك الوجوه فتدميها ومساقط احجار تصدم الحوافر فتحفيها

ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وقت العتمة وهم

يطوون مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولا طي التجار بحضرموت

برودا واهاب باولياء السلطان وابناء الصلوة والصيام الى اقتصاصهم

ذا داع الظلام في اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه المقاصي على الكافر

بنو هيبة فكم قتيل هناك وقتل ابن مسلمة خراجه بيد واسير بقيد قبل

بين التقييد فاما الاموال فما بقيت حجبا دون الادراج وسترا دون حد

حد السلاح خراج لا يعبو بها او نيتفى النفوس عن عبدة الكفار وعبدة
الشمس والنار وظل الاولياء يتبعون طرايح المخاذيل ثلثة ايام تباعا تشفقا
واغتناما وحلالا بعد ان جمعها الكفار حراما واما الفيلة فمن بين مفقود
ومرد ودو متطوع بالعود الى السلطان لطفا من الله تعالى الذى يبيح له غنايم الاموال حتى يسوق اليه بهايم الافيال لا جرم انها سميت
حبدا وارد شكرا لله على الهام ما لا يمسك الا بالمقامع ولا يماك فى المراتع
الا بالحبل الخوادع ان ابى طوعا ويهجر الاصنام هذا الاحسان شعر
قل للامير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا سيجى جميع المحاسن
عنده قربا وبعدا لومس اعطاف النجوم جرين فى البهيع سعدا وساد
فى افق السماء لا نبتت زهرا وورد ا وبلغ ما وجد من خزاين السارب
الهارب ذهبا وفضة ويواقيت محمرة وفرايد مبيضة قرابة ثلثة

الاف الف درهم فاما السبى فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده

وقوع الاستيام على الواحد منهم بما بين درهمين الى عشرة دراهم وذلك

فضل الله الذى ذخر لايام السلطان يمين الدولة وهو المليّ له بتمام

الثواب يوم قيام الحساب فالحمد لله خير معبود ومعبود وله الشكر على ما

اقرّ به عين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله الطاهرين الى يوم الدين

ذكر المسجد الجامع لغزنة ولما عاد السلطان يمين الدولة على نقسه المظفر

الموكل بقمع الكافر المفترى المتكلل بسعدى السماء الزهرة والمشترى

الى دار الملك بغزنة وقد كادت تغيض صحيها على عدد الارقاء من العبيد

والاماء حتى استفرغت عليها الناس التجار اقصا وبين البهاعن نوازح

البلاد ونوازع الامصار وخص ما وراء النهر الى شرايع العراق وساير

الاشراق سنها ما حط شضهم بالسود وعدل فى التمليك بين المسود والسود

والمسود احبّ ان ينفق ما افاء الله عليه من اثقال ادلتك القلب

الاعقال في عمل بربشنيع جبرواه ويرفع الى امر الاحتساب معناه وكان

قد اوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع اذ كان ما

اختط قديما على قدر اهلها حيث عدّت من رسعات البلاد فخطّ دار

وسطون فراد نوافق عوده من مصرته حصول المراد من تقطيعه ونو سعه

واقامة الجدران على تراسيعه فصبّ بدر المال على الصناع كما صبّ

دماء الابطال يوم القراع ونصب لاستارقتهم احد الزعماء الحضرة فهو

يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل ومعاتبا على دمز الخلل حتى اذا توسّد ت

الشمس قلة الجبل اقام السُّن الموازين ناطقة بالانصاف ووازنة

بالجزاف فيمسون بين اجرين عاجل على السلطان منقود وآجل

على الرحمن موعود ونقل اليه من اقطار السند والهند جذوع

توافقت قدود اود رصانة وتناسبت بذوبها ونخانة كانها استودعت

ارحام الارض لامر معلوم وفجعت باعمارها اليوم محتوم تحادت

ولا لحق كمالا والعدل استقامة واعتدالا تنبني عليها الملاسة

والسداد وكان بهاصيها فهي لا تصفى ولا تكاد وقد فرشت ساحتها

بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب بمجانيق على تقطيع لزبيج

استد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المراة وعقدت عنه صدوع

الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقطة المراكز فلو عاش سنمار

لعد في جنبها معد الواهن العاجز فاما الاصباغ فطالع روضة

الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف الابصار وتفتن النظار

واما التذهيب فحسبك منه ان صناع الرصافة قد غرب

عليهم الحفائق وصح لهم تكليف ما لا يطاق ولبس بصفائح الزرياب

الزرياب فقط لكنه ضبّات الذهب الاحمر فرغت عن صوغ الاصنام
والمجذوذة والنبذة المأخوذة فطفقت تعرض على النار بعد
ان كانت الحفة للكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت
بالجذوذ والعنافق اوليس الذي ينفق على جدران مساجد الله
عبرة الموحدين وغيظا للملحدين اتمّ سماحة واكرم راحة ممن يفرغ
معبودا وينصبه للضرّ والنفع مقصودا نعوذ بالله من ربّ شاده
عاد وهو محتاج الى سغا بو جزى الله عن الاسلام ملكا هذه افعاله
واعماله وامتهان الروح والممنوح في سبيل الله دابه وآدابه نعم وقد
افرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرفا عليه مكعب البناء موسّع
الفناء متناسب الزوايا والارجاء فرشه وازاره من الرخام كلّه ت
عليه الطهور حتى نُقل من ارض نيسابور وقد احيط بكل رخامة

اربعة محاريب من الذهب الاحمر مكحلة بالالماس والجواهر وفي تعاريج من

الوان المنثور والورد من يرها يعمنيه نقل لمسابه لاستحسانه للاذال

هذا الاستاذ ممتعا بنيانه الامن راى مسجد دمشق فراعه مراة

وشانه المنظر حتى تنتاه وقضى بان لبس توجد نظير له دون

هذا البيت لبرنات النبوة وتعكس عليك الفضيه وينبئك ان الحسن

بعض صفاته والابداع احد سماته وانفال الهند من خدم نفوسه

والهمة العليا قد اطمحت بعروشه نعم وامام هذا البيت مقصورة تعاريج

عليها منصوبة تسع ثلثة الاف علام متى شهد والفرض اخذ والماكنهم

منها صفوفا واقبلوا على انتظار الاذان عكوفا واصيفا الى المسجد مدرسة

فيحا تستمل بيوتها من بساط الارض الى بساط السقوف على تصانيف الائمة

الماضين من علوم الاولين والاخرين منقولة عن خزاين الملوك الصنيه

الصيد نفروا عن ديار العراق ورياح الآفاق حتى افتنوها الخطوط

كفرايد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد

بنتابها فقهاء دار الملك وعلماء للتدريس وللنظر في علوم الدين

على كفاية ذوي الحاجة منهم ما يهمهم جراية وافرة ومعيشة حاضرة

وقد انقطع من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق يفضي اليه

في امن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال من بين صالح وطالح

فيركب على وفور سكينة وشمول طمانينة حتى يقضي المكتوبة ويقتضي

الاجر والمثوبة فاما سائر دور الحجاب وقصور القواد فما بقي لحقائق

الانفاق عليها الا من اتاها اعتبارا وشاهدها اختيارا فيرى مدرا

الاباطح ابنية تشرف على الهضاب شرفاتها وتكاد تغترف من

نهر المجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوي على مرابط الف فيل يشغل

كل منها سياسة ومداراته دارا لكبيرة وحيطة وسعة ان الله تعالى

اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد بفعل ما اراد وهو على ما يشاء قدير ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان وعزة القنط بغزنة واقبل الخريف بتقبيضه

وسمح الزمان حاجز ربقه وقد كانت طوائف الافغانية المتوطنين

قلل الجبال الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا فعل القطاع لذنابى

عسكره منصرفه عن غزوة قنوج اعتزازا بالمناعة اماكنهم وحصانة

مسالكهم اوتظنيا لخفاء افعالهم والتباسها بما كثر امثالهم راى ان ينتقم

منهم بكبسة تبيح عليهم اوكارهم وسلاحهم وتخضب بدماء النحور جباههم

فعزم على ما دبر وصمم على قدر وورى بنهضته نحو احدى اقطار

ثم ركض عليهم في خاصته ركضا صبحهم في مراقدهم فلم يشعروا الا بجر

الصفائح على برد الصباح ضربات تقطف الرؤوس عن النحور وتفرغ

ونفرع النجود على الجحور كما قال ابو تمام شعر ضرعى الى ضرع

[illegible]

كان جلودهم طليت بها الشبان والغدام فكم من حنث فوق

الاعلام ودوس تحت الاقدام حتى اذا استلحمت السيوف اجسامهم

ولم تستبق الا ايامهم وايتامهم كف كف الاقتدار وعلا ذروة

العز بالاخلاد وعادت تلك الوعور سهولا وكان امر الله مفعولا

وعطف الى غزنة حميد الراى بين ان يشتو ببلخ مستنجحا ولعابر السنة

فى انفراد مستتمّا وبين ان يركب نيّة يمنيّة فى غزوة تقشع باقى

ضبابات الكنود عن ديار الهنود مجهزا على ما كان يضرب بذنبه

فى مهربه كالوزعة المتخنة لا تلبث ان تموت فابت عليه حميّة

الاسلام ان يسيغ على القعود حريضة او يستبقى فى مجالس

الاغماد سيفه وثنى عنانه نحو الهند فى رجال يردن منتهى الشهوات

صهوات الخيول وفضوى اللذات ملاقات الفحول وتحبرون

بالظهور ابترة مرفوعة وبالاكوار وساير موضوعة وبالسموم رياحين

مفطوفة وبالاجن الطرق صهباء مصروفة وبالعرق السائل

ماء وزد وبالقسطل الثاومنا دعنبر وفتات مسك وند و

بالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى وسمارا فمن يمه ينسب فال

آباء هم المشترقيات بوائك وامهاتهم الزاعبيات فواتك

واعمامهم القنى نواذع جوازع واخوالهم النبال فوازع ومازال

لجوض انهارا هاجبة واودية هادية لم تضمن قط عن عرفاها دمة

وعين الله ترعاه في كل مسعى تسعاه حتى اقتحم معادات

اوليك المغاوير بل هديات اوليك المداعير فطلب دوا بانفل

تضجحن بالويل والثبور ضجيج النوق دواجع ببيت الله المعمور

المعمور وما زال السلطان يصفح عمن آمن واطاع ويفضح من اظهر

الامتناع بعد ان اصاب غنائم لا يضبطها حُسّاب ولا يطمعها

ماء ولا شراب حتى انتهى به المسير الى ماء يعرف براهب على المحاض

حمى القرارة كالخضخاض يبتلع الخفّ والحافر ويقتلع الدارع كما يقتلع

الحاسر فاذا اسرو جيبال من تلك الحيرة في رجال كالصريم وافيال

تحت الادهم قد اخذ من فاحي الركضة جذره واسند الى ذاخر النهر

ظهره ورام ان يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام الغمر جمهوره

حتى اذا اكتحل الليل بغباره وقرّ في ذمّة استمتاده هرّ وحرن

على حماره فلمّا علم السلطان ذلك من قصده ورأى استعداده

واحتشاده لصدّه امر بالاطواف فهيّئت للعبور واهاب الى عدّة

من غلمانه للركوب فامتثل الامر ثمانية منهم يبتدرون العدوة

القصوى وليتزنون كلمة التقوى فلما راى بروحسال استفدال الماء

بهم رماهم جمسة من قبلة المجففة وفوج من رجاله المصففة

فاراد الله تعالى ان يحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم بتنبيه الامين

ورسوله الموتين بالتمكين حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت

لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى

لى منها فالهم ملك العدة ان استوقفوها على شطانها حرى

بهاتيك النبال وغرقها لهابعد فى وجنات وللك الضلال طاينة

كالشهد وعبروا النهر فى اسرع من لمح البصر معجزة لم يسمع قبلها

ثمانية يجزع سبيله ويندفع قبلة وخيله وبدر من لفظ السلطان

عند عيان ذلك البرهان ان قال من قدر على السباحة

فلينعب لليوم للراحة فاذا الخاصة ومعظم عامة خائضين

خايضين ولصعب الماء دايضين فنادة يسبحون بالاطواف واخرى

يسترجون الى الاعراف حتى لفظهم النهر سالمين لم يسحب لهم خبىة

ولم تعطب خربة ولم يذهب بحمد الله سبية وحمل السلطان بهم وقد

نزوا على الظهور رحلة بوزعهم بين عفير سكران من عقار الحد ود

واسير حيوان من اسر القدود وطريد يخاف وقع القواصب وقليل

يمرى النجوم الثواقب وصار ما حصل فى الوقعة من عدد الفيلة مايتين

وسبعين تفال الاجسام خفاف الاقدام كانها صدع الجبال عند طارقة

الزلزال وطار الكافر هزيما لا يملك عزيما ولا تقديم تاخيرا ولا تقديما

وقد كان السلطان قبل ان لقى الكافر وليس جيوشه الدروع والمغافر

اخذ فالا من كتاب الله تعالى يهدى به عاقبة ما نوى فخرج له قوله تعالى

عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون

فلما حقق الله وعده ونصر بفضله جنده ضمن على نفسه ان يفي

بواجب عمله علما لا يرقه الانام وغيره وايويد الاسلام وشكوا لتقيد الانعام

لا جرم ان الله كاليه وحاميه ومُضيت به اغراض اماله وامانيه

والذي يدخره له من ثواب المعاد اوزن معاديره ادجح ومعابير

وكرما انتهت اليه حال نيسابور وبعد الوزير ابي العباس فيمن رشح

لاعمالها الى ان ندب ابو الحسن علي بن محمد السيادي لصحابة الديوا

قد كان السلطان لما انقضت نوبة الوزير ابي العباس عن معاملات

محالا بها عليه في تحيف الرعيه وتخون الارتفاعات القانونية واشرا

واشراف الضياع على الخراب وتفرق الاكرة والحراث خصوصا بنيسابور

نوصته خراسان والعراق ونجعة التجار من مناكب الافاق ندب

ابا الحسن طاهر بن عبد الصمد الرغيم كان نقوسح لعمل الديوان بها

بها او كان بعمارة الضياع معروفا وبرسوم الدهقنة والزراعة
موصوفا واطلق اخراج خمسين الف دينار من جملة المجموع عليه من
معاملات تونشج فى وجوه عمارات الضياع بها اساحة للمطعوم من
قنيتها وعمارة لما تنقوض او انهار من رباعها واستفاء للنزاع الاكر
بامتداد الايدى الجايرة الى اماكنهم منها واقامة لما يحب اقامته من جادى
البذر ودلهم نوردها سنة اثنتين واربعماية بتتبع الموات بالاحياء
والخراب بالابتناء والعيون بالاجراء والشراد بالتالف والاطباء عنزان
نقبه الفساد على تعاقب الاعوام بمتنع بناء هالا فى مثلها من الايام
وكان السلطان يطالبه عقيب كل سنة بزيادة الارتفاع على قدر ما ضمنه
فى مطلق المال فتارة يقصر العمارة عن ظاهر الارتفاع واخرى يحط سعر
الغلات واقلام الديوان تعمل اعمالها فى جميع الاموال الى المال والحاق الحق

بالمحال حتى غرق انرحل في لجة الحيرة وتهدد من الحسرة متى نكاء

بقايا عمله وحمل تتمة ما جرى على يده ابن الجعل عبرة للعيون ومضغة

في لهاة اللنون نواى جميع ملكه لا يبقى بعض ما بواه منه وجعل طرفه لا ينفض

تسبطرها براود عليه وسرت خيفة الانتقام ودوعة الافتضاح

في سره المحتجب حتى ادنفته واحرضته فطفق يتخيل وجه المال خيالا في

صورة ميت وداجيا في هيئة آيس حتى حاق به اجله وعفى عليه

ما كتب الله له ومن جل ما سبق السلطان ابا الحسن السباري انه اوحد

كتابة وحسابة وكفاية ودراية وامانة وصيانة لحكمه المرتضى خواطر

وانامل والبحر مناقب وفضايل ولا بريز نفسا وشيمة والياقوت قدرا

وخيمة فحرر له معاونه حتى هذب حسباناته وقدر معاملاته

وتصور وجوه الارتفاع ما خفي منها وعلن اودخل في حلية القصاد

الظهراء وتعيّن فراى السلطان مع حاجته الى مقامه ببابه في حملة اقرانه

على مهمّات ديوانه ان يسدّ به خلل نيسابور اذ كانت عين مملكته

ووجه اقطاره ولا سيّما وقد حكم الحكماء بانها ثلث الاقاليم البسيطة بالاضافة

الى ساير اعيان الامصار وتحت خط معدّل النهار فلذا اهمّ له من تهذيب

اعمالها وترتيب احوال الرعايا والعمّال بها فانتضاه لها عن علم بانه هناء

نقبتها وصمام خربتها وثقاف قناتها وقيام رفاتها سياسة قامعة

القطار

وكفاية جامعة ورفقا بالتحلّب والاستدرار وجمعا لصغير الله ر الى

نفي الحبيب من فضول المنال امين العيب من ركوب المحال فعوّضنا

اباه عن بعده من بابه قرب محلّه من احماده وفور حظّه من رضاه

واعتماده فورد نيسابور ورود الغيث على البلد الماحل والبرء على البدن

الناحل والتبشير على الطالب المضلّ والبدر المنير على الخابط المستدل

بعد ان عرض على السلطان حالها فيما يرتفع عنها على وجه الانصاف

دون العبرة التي غادرت الرعايا والعمال عبرة للرجال ومثلة يسير بها

شوارد الامثال ودفع جريدة يذكر مالا يستزاد عليه ولا يطمع في

الكثر منه فأتممه عليها ووثق بما قرره منها واظهر الرضا بما يتسكب

على يده في علته التحلّب ويجتمع في قرارة التبرض نظراله وللرعايا

قبله دون من تقدمه من العمال على نباهة اقدارهم وجلالة محالهم

واخطارهم فانتعش به اهل نيسابور وحاضرهم وباديهم وثنابهم وقاز

لاخذه فوق ايدي العمال بما دون الاصول المقننة والفروع المسننة

ولضبه كفاة ثقاة يرعون بالحيصل عن المقاسمة العادلة عن وجوه العلات

وضروب الارتفاعات من غير حيف على المزارع ولا احتمال على فضول

المطامع وغبر على هذه الجملة اربع سنين مواصلة للحمول في نجومها المعلومة

المعلومة واوقاتها المرسومة يتعب للناس وهم وادعون ويتيقظ
على سهد لحظهم وهم هاجعون وقد خطم بينها اصحاب الشرط
دون اشتكال لو عتبه وقصدهم بنوع من انواع الاذية اللهم
الا اذا عرض جرم فاحش او وقع دم ظاهر فياخذ للسياسة
حيفها على حكم الشرافة ومقتضى السنة القويمة ولو لم يكن من
مساعيه المأثورة غير احتماله قروما تعدوا بفضل الحشمة
حدود الدالة الى الاشتطاط وشروطا لاقتراح الى الافراط
اخذ الحكم المداداة وعركا الحادثات بجنب الرزانة والاناة لكفى
ووفى واقنع وشفى فيا لها من نفس بديل عندها اركان يذبل
ولبنان معها صعفا بان فاما ذكرته فى هذه الحال حين اعضل
الداء واستفحل البلاء وانكشف الغطاء وصرح عن زبدته القضاء

وسياتي نشرح ذلك في موضعه انشاء الله تعالى فاما فضول اوقاته

فقد كانت مقصورة على كل فاضل حبر وكامل حر يتباهبون منهم

بدايع الكلم وودايع الاداب والحكم فما من مجلس من مجالسه الا احتاج

الفاضل ان يبسط حجره ليلتقط دره فان افاض في المجلس فهو

ابن جدته وابو عذرته ولو انسرب في اعماق الارض لخاله

لا ستشادة في خناش واستوقفه للافهام في عقال واباض

ولولا ان هذه الكتاب عربي الصيغة لا وردت من تجانيس

مقطعاته الفارسية ما يقضي منه العجب ويحق ان يباهي به العرب

وسياتي ذكر احوال نيسابور بمن بعد باذن الله وغرته ذكر ابي بكر

محمد بن اسحق بن محمشاذ والقاضي ابي العلا صاعد بن محمد

وما انتهى اليه امرهما بنيسابور وقد كان ابو بكر مرموقا بعين النباهة

النباهة في صدر هذه الدولة لمكان ابيه من الزهادة وضمنه

الاطراق على العبادة واقتفائه نهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه

وقد كان الامير ناصر الدين ابو منصور سبكتكين يرى في عصابته

في التزاهد والتعفف والترهب والتقشف ما قل وجود مثله في كثير

من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فخلا ذلك بقلبه كما حلا بعينيه

والمجاهد في الله محبوب وقد تكرم اهل الشفاعات من له ذنوب

واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام واشاد

طوائف الكرامية بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي فيما شاهد من

نفاق اسواقهم شعر الفقه فقه ابي حنيفة وحده والدين دين محمد

بن كرام ان الذين اراهم لم يومنوا بمحمد بن كرام غير كرام وانضاف

الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه لما توجه جيوش

الخانية خراسان عند غزو السلطان ناحية الملتان فنضوا نيسابور

على ابي بكر احتياطا لانفسهم من شنعته واحتراسا عن غامض مكيدته

ونقلوه في جملتهم حين طلعت رايات السلطان من مغاربها واومضت

سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجد منهم فرصة الافلات السلامة

على مس تلك الآفات فاعتد السلطان ذلك له في سابر موالاته

واوجب له حقا لحظه بعين مراعاته ونبغت من ارباب البدع

الباطنية على ما اسلفت به البلاغات والله اعلم بالخبية الظاهرة

والنيات واتفق تصلب من السلطان في استيصالهم وتعصب

لدين الله في احتناك امثالهم تحشروا من اطراف البلاد وصلبوا عبرة

للعباد وقد كان ابو بكر احد اعوان السلطان على دائه حشرا اليه

وتصويبا للراى عليه فصار البرى كالسقيم مدعوا وعاد المسلم

الملا، فی عارض الخطب سنودی ورای الناس ان دبغیه السم القاتل

ومدیته السیف القاصل فنجعوا له بالطاعة وفرشوا له خدود الضراعة

وانعقدت له الرياسة فی لبسته الصوف والخطبة الخاصة والعامة

بعین المرجو والمخوف ووجدت خاصة سوقا للاطماع لعلة الابتداع

فاستراثوا الناس واستفتحوا الاكلباس فمن الظاهم بمكاس رجی

لفساد معتقده اولیعطی الخبزیة عن یده وعبرت علی هذه الحمله سنون

لا تطمع لاحد فی تبدیل شکلها وتحویل فادح الحال عن اهلها ولا علم

بان الزمان بتغیر الاحوال ضمین وبالخداع علی صورة المعتاد رهین

ومن صبر علی الایام رای الرفیع وضیعا والضلیع ضریعا وشاهد عن

سموم القیظ صرا کالحا وصقیعا واتفق للقاضی ابی العلاء صاعد بن

محمد ان حج بیت الله الحرام سنة اثنتین واربعمایة وهو الامام الموصوف

والزاهد المرموق والفاضل الجزل والباذل المحل قضى اكثر عمره

على الحظ النفيس من ثمرة الدرس والتدريس يتطفل عليه الاعمال

فيأباها وتنصب اليه الاعراض فيرى الحنا فيما عداها ومن حاز

شرف العلم لم يبتغ به ثمنا قليلا ولم يعدل به حظا وان كان جليلا

فلما حصل بدار السلام وانهى الى القادر بالله امير المومنين خبره في حجيج

بيت الله الحرام نويل حقه في الاسلام من واجب الاثرة والاكرام

وظاهر التوقير والاعظام وعضد بالكتب الى حضرة السلطان بغزنة

بما تقرر من حاله وفي مهمات اوجب الاحتياط شرحها على لسان

مقاله فلما عاد من وجهه شخص الى حضرة السلطان بغزنة فعرض ما

صحبه وقرر ما تحمله وادى من حق الامانة ما لزمه وبها الاستاذ

ابو بكر محمد بن اسحق بن محمشاد يجري في مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم

واطلاقهم القول بالتجسيم وتعريض الله بما يليق بذاته الكريم فانف

السلطان لهذه الشنعاء من مقالهم والعوراء من غوى جدالهم

ودعا ابا بكر سائلا عنه وباحثا صورة الحال منه فانكر اعتقاد ما نسب

اليه واظهر البراءة عما احيل عليه فسلم مع الانكار عن مس العنت والانكار

فاما الباقون فان الكتب نفذت الى العمال فى تقديم الاستقصاء عليهم

فمن اظهر البراءة عن قوله الشنيع واعتقاده الموجب للتبديع ترك

وشانه ومن عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير

ومن اصر على دعواه ولم يجز لنفسه سواه جعل مغناه عليه حصيرا

وردّ لسانه دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضى خلعة

لاقت بجلالة قدره وزخارة بحره ودعاية امير المؤمنين لحقه

والعادة بتمهيد امره وصرف كلا منهما على حملة الالباس والتحجيم

على اعين الناس ولم تزل غصة القول بالتجسيم ناشبة في صدر

ابي بكر يصادع الايام على بهزة المكافاة بها الى ان استتبله الامر في

عقد محضر على انتحاله مذهب الاعتزال وتنجز خطوط قوم من الاعيان

سلكوا فيه طريق المساعدة وتنفسوا به عن وعرة المنافسة فعيط

ما لا يطاق داء دخيل وهمّ على سرّ النفوس نزهل واحتيل في

عرض المحضر على السلطان استفساد الصورية لديه فوقع التدبير

موقعه في الاحفاظ عليه وراى ان يبحث عن صورة المرفوع في

احقاق من صدر وابطال من زوّر فانهض قاضي قضاته واوحد

ثقاته ابا محمد الناصحي من لم يشركه احد في اصطناعه والجذب

الى العلاء بباعه فانه استحضره على طراءة شبابه لحلتين فلما وجدن

في قرح الاسنان فضلا عن احداث الفتيان والشبان وهما العلم

وهما العلم والورع احوال د و بهما الدرر باليا قوت والصحة بكفاف

العوز واقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصبح الناس

من ساطع نوره فى التقوى حتى اذا بهر كماله وطفح بالفضل مكياله

ولاه القضاء فى عامة ديار مما لكه ثقة بقوته وامانته وورعه ونزاهة

وتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء او روضة الحزن

وبمسها السماء غشاء بعم وامر بان يستحضره القاضى ابا العلاء صاعدا

وابا بكر الاستاذ فى وجوه الروب واعيان الشهود ويطالب كلا

منهما باقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤس الملاء

من غير محاباة او جنوح الى مداهنة ومحاباة فقابل الامر بالامتثال

وتجافى عن حرمة حشمة الملك وهيبة الجلال وسال ارباب

الحظوظ عما عندهم من قضية الحال وحلية المقال واما ابو بكر

فانه اراد ان سلافى ماعر الخطب فزعم ان الاشتراك فى زينة العلم

احدث بينهما منافسة تنازعا معها مذهبى التجسيم والاعتزال فلذا

ضح ما ينبغى اليه ولا تقرر ما ادعيته عليه واما الاخرون

فمن جار على حكم المساعدة فى المحاباة والمهاوده ومن حادر لتام

الاحتشام فى التصريح واطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة

عددنا انتهاذه الى التعصب وجاوزت حد المعلوم الى التعسف

وسبى لذلك وجوه مخالفة اهل الراى حتى كادت تثور فتنة

لولا ان هيبة السلطان اجرت الالسن الطوال وضربت على النفوس

التطامن والانخزال وقد تلطف قاضى القضاة لعرض الحال وتقرير

صورة الحال واتفق ان تحين الامام ابو المظفر نصر بن ناصر الدين

فى مجلس السلطان فرصته القول فى باب القاضى ابى العلا صاعد

صاعد فنبّه على سمته وسيماه وانباه عن ورعه وتقواه

والتمس على سبيل التلطف ان يقع تداف للغضاضة وتدارك للمهانة

الطارية عليه بعزله من تصدّى لمكاشفته وتعرّض لاستفساد

مكانته ونوّه به السلطان فيما هنالك وحدس ان صاعدا اجلّ من ان

يعتقد الاعتزال وامر باستخلاص من انتدب لمراغمته ومقابلته بما

اقتضاه حكم وقاحته واستجلس القاضى ابو العلى قرابة بيته فلم

يكن بردا قبل الا لفرض يقضيه او علم يمليه محتجزا بالله تعالى

وحده عن غيره ومقتنعا بما ادرّه عليه من خيره ورأى ان تقيّة

العلماء اعزّ من ان يضاع على القيل والقال وخدمة فضول الآمال

ومزاولة ما يضيّم قدر العلم بالابتذال واستناف ولدين له كالفرقدين

او كالشعريين ابا الحسن وابا سعيد شريكى عنان فى المروّة والفتوة:

وصنعي لبابٌ في النبوة واحكام آيات الله المتلوة في قضاء الواجب

والاحتمال للنوائب فعفى له عن حقوق الناس وفرع لعلم النظم والقياس

وخُطّي بمثل ما انبا عنه ابو الفتح علي بن محمد البستيُّ من حاله بقوله

شعر قد جمع الله لي تعالى فيهن عزى وحسن حامل بلاغ علم

مساغ شرب دفاع غليتي فراغ بال نعم واطلق تمادي الايام علي

ابي بكر وارتفاع مكانته واتساع حشمته ومهابته وانبساط ايدي

حاشيته في اموال واعراض اهل ناحيته واستمرار العناد بينه

وبين اعيان الاشراف في حيزه الهمس الجمهور لحضرة السلطان

بما طغى من حاله وبغى من جراح حباله ادلالا بافاعيله واعتمادا

بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره وارشاد سبيله

فتناوله الاحتمال مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة

على الصيغة من الانتزاع والعادفة من الابتجاع واشفاقا على

المحل المرموق فى الله ان يلم به انحطاط او يجل به دباط حتى اذا جاوز

الاحتمال حده وامتنع المستزاد بعده عقد السلطان رياسة

نيسابور لابى على الحسين بن محمد بن العباس وقد كان جده فى

دولة آل سامان مجدودا فى جملة الاعيان والثناء معدودا

واثره فيما بين آثار الرجال محمودا ووافق ابو ایام السلطان

اول مقدمه خراسان وانتصابه منصب اصحاب الجيوش بها لآل

سامان فاحل خلفاهما على مناسبة الشباب وعرف السلطان له

حق الخدمة والاصطحاب غير انه اعتبط فى شبابه فغادر كما بدا

شعر وكل امرى يوما مآله الى الردى وكان يضرب ابا النصر احمد بن

ميكال لقرابته واو اصر صحابته فنشا فى جملة نشأ المقبل وخرج

خروج الفتح فتح ابن مقبل واخذت له شكر النعمة حشمة و

صفو الخدمة ادبا وهمة فلما مضى ابو نصر لسبيله انهى الى السلطان

حاله في كيسه وذلاقته وظرفه ولياقته فاستحضره ليخبره فوافق

اولى النظرة قبولا وطرفا محمود الاعجاب مكحولا وازداد على الخول

الخبرة وفاقا على سوق الخدمة نفاقا فيما تولاه الاشياء اصلحها الذي

ولقحها النابير والماء النمير حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه

الرغبات والرغائب وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود وسادات

الاقلام والحدود وكان غرض السلطان في عقد الوزارة له ان يقيم به

من انعقدت له بدالة التالة والتعيد وسابقه الترهب والترهيد

فقدر ان الذي خطي به معقود بالدين فلا سبيل الى حله ولا محاق

ابدا للمنسة له فيرجع به الى ما يوجبه حكم التقية من رفض المراتب العلية

العلية والمطامع الدنياوية فلما ورد ها ساس اهلها سياسة
لو عاش اليها زياد لعاد على سياسته بعين استزاده فخفت عليه
حتى صرير الجنادب وسكن حتى دبيب العقارب وهدء حتى
شغب المراتب وسكت حتى ذوي المذاهب فكانما اقبل به شفيف
الشتاء فكل هامة او سامة في او جاء الحجار وابعاد استبداد وقد
بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما يذنب عقاربه ان
هيبة السلطان هي التي حطمت الهاميم وحطمت الاقاليم فلو
وكل بعض همه برواسي الجبال لاصبحت منسوفة او هطوا في النجاد
لعادت منزوفة فما خطر خطة ينبته بها على الرشد نابه ويعمى
عندها عن مقصد الصواب نبه او بابه ومن احسن في جنب
مناله فمن عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر الى الله ان الحميد

على وجه المريد شهاباً ويلوح على سفح المحول ذهاباً وتطرّف

الوشيش حواشي المقصود فنتزع منهم بعض ما اخذوه دنيًّا واحتبسوه

ترونا وكنّتي ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن اكل بالله واكثر الزهد

ثم لم يتوكّل على الله وهمّ لصاحبهم فاحد حذره وادرجه من دونه ستره

ولم يقصد السلطان قصد استيصاله ونفضه عن فضول ماله فترك

وراء الحجاب على قدم الزهادة وغضّ الفطام عن العادة وعطف

من بعدُ الى جماعة الاشراف العلوية ذوي الاقدار العليّة فاستعرهم

ان حشمتهم بالطّاعة موصولة وخدمتهم بلزوم القصد وترك تعدّي

الحدّ مكفوله فتلقوه بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال علماً بانّه امر

ظلّ الله في ارضه فما تغنى عنه غير الانقياد والميل على المعلوّ لاقتضا

واستخلف على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن زرامش

بن رامش وهو نضربه بقرابة الى السلطان لا فطعها عليه صيانة
له من تقصير الكرام وتتريب الرجال عند ذكر الازدحام وطوع له قيادة
الاحرار والاشراف الكبار والزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا
ويختصوا بطاعته جملة وتفصيلا فمن ورم بانفه دون طاعته
شريفا كان او مشروفا نفى عن بلده وعرى عما تحت يده فتمخضت
اليه الاعناق واحدقت بعنانه الاحداق واستتب له رياسة
لا عهد لاحد بمثلها من رؤساء خراسان الا ابا عبد الله العصمي
رئيس هراة فانه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد وعز عتيد وباس
شديد وخدم وعبيد ومال ينادي على العفاة هل من مزيد
وفرش في زمانه بساط العدل فتواعد الاخفاش كرجالات
الشروة والوباش اشتراكا في الانصاف ونفقت سوق الاحتساب

بالدهر فوق الاكتاف فمن بدعة مرفوضة ورتبة مخفوضة وحد وجد

على الحق مقامته وعيون دون الفضول منامته ويطلب معها الحانات

والمواخير وخرست العيدان والمزامير وركدت الحان المغنيات

والسكارى واستوت فى الانحجار واللياذ بما وراء الاستار دعوى النساء

بالعذارى فاما شوارع اسواق البلد فقد كانت منذ نبتت نيسابور

فضاء لا يكنفها غطاء ولا يظلها دون السماء سماء تخرقها الاعاصير

تارة وتردعها الامطار اخرى فاما التراب فنارا واما الانداء

فثلوجا وامطارا لم يفطن احد من ملوك خراسان واصحاب الجيوش

بها لالحاقها باخواتها من ديار خراسان تنفيقا لها وتسنيما

وتنظيفا عن الاقذار وتطهيرا حتى ورد الرئيس ابو على وطالب

اهلها به فلم يمض شهران حتى سمعت نحو السكك سقوفها وتمت

وقامت على دكائن الاعواد جوفها ثمن بين منقش ومزخرف

ومدبج بالاصباغ ومفوف تنفتح منها فرج تقدبها على ضياء النهار

على الابصار دون ما يوسع لذوو الغبار وتمكن لذوو الاقطار

وخمن البصراء استغراق قدر العمارة مائة الف دينار على طيب

النفوس وفضل الكيوس لم يكلف احد عليها ولم يستكره دون المثال

فيها بل عمتهم المباهاة وشملتهم المباراة فانفقوا موفرين ومستبصرين.

ولانفسهم على العجز دون المراد مستقصرين فمن تسوق تاسعا وعاشرا

ليس باديا او ثانيا ود الى الكاهل قذاله وتوكل على شغل النظر اشتغاله

فبالها من سمك الشاخص نحو السماك وزائد فلكانا منا على الافلاك

ولما عاد الرئيس الى الحضرة وقرر حال ما تولاه ومن غزله وولاه

وافق هوى السلطان ورضاه فصادف تقريرا وتمكينا واحمادا

واسعا مستتبا وسنورد شرح ما يتجدد من هذه الاحوال ان اراد

الله وتيسيره **ذكر الامير صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين**

وقد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما ملك خراسان واخلاها

من شراذمة آل سامان عرف له موالاته اياه وهجرته فيها اسمعيل

بن ناصر الدين اخاه اعظاما لحق الكبير واعترافا بواجب الفرض

فولاه نيسابور مظنة اصحاب الجيوش الاكابر على وجه الزمن الغابر

سادا به مكانه من قبل اذ هو سائس الجمهور ومدبر جلائل الامور من

وضع اخاه موضعا قد سده قبل بنفسه وراه اهلا لبعض قدره

فقد بالغ في البر والتوقير وخرج من عهدة التقصير فوليها سنين

عدة حميدة السير في الحيرة كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى

على يديه من حميد الآثار في مطاردة ابي ابراهيم المنتصر عنه وكفايته

ونكاية وكفاية ما كان يطرأ من معرته وشذاته ما تقدّم شرحه

ثم رأى السلطان بعد ذلك ان يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله

فاستدعاه واهّل سلطانه به مستبّجه ومعزّاه فلم يزل له بعد بحال

ولم يفاصله في حالتي حلّ وترحال وكان يراه في مقاماته اوّل

من سمح بروحه في المحاماة على دين الله والمراماة من دون حق الله

واقيًا ابناءها بمهجته نفسه ان كنفه زحام او عظُم على جيوش

حقّ الله استلحام شفقةً لحبس بها لحمة القربى وشجنة من

الرحم الدُّنيا وكان ينصر مذهب ابي حنيفة رحمه الله اعتقادًا

ويرى الاستمساك به رشادًا فامر ببناء مدرسة بنيسابور في جوار القاضي

ابي العلاء صاعد بن محمد وانفق مالًا حتى انتهاها وحبس حبايس

على من اواها ودارس باما الى العلم في ذُراها فبقيت تذكرةً عند

نفدى بالعلم وتراح وتثنى عليها الامساء والاصباح ولم ينقم

السلطان طول ايامه قولا ومحالا ولفظا دون الصواب مستحالا ولا شاكا

احد من كياده جانبا وفعلا لاسعاف الرؤس على الاتباع مجانبا

وقضى الله ان خانه الشباب فلما استوفى امده ونفض بابا في

الامل فيه يده فلحق بالواحد الغفار شعر ان الكرام قليلة الاعمار

وكتبت في مرثية رسالة سئلت اثناءها في ذكره ففعلت اذ كان

في ضمنها ما بقي بشرح حاله ونفر بر بعض خصاله وهي شعر آه

من سفرة بغير اياب آه من حسرة على الاحباب آه من مضجع

الامير المفدى فوق فرش من الحصى والتراب بضرب الامير

ناصر بن الله صدر الحروب والمحراب صاحب الحسن درة الشرق

تاج الفخر غوث الكرام والكتاب لغاء باساسة الرجال ياسادة الفعال